محاضرة الأستاذ الدكتور/ مصطفى رجب

بعنوان

أدب الطفل: الواقع والمأمول

الثلاثاء الموافق ١٨ / ٥/ ٢٠٠٤م

تقديم أ.د. عبد الرحمن النقيب

تقديم أ.د. عبد الرحمن النقيب/

بسم الله الرحمن الرحيم، الموضوع يعالج قضية هامة تتصل بما يمكن أن يساهم به أدب الطفل في تربيته وإنمائه وإكسابه قيم ومعارف وخبرات مختلفة، والمحاضر أ.د. مصطفى رجب عميد تربية سوهاج السابق، ورئيس قسم أصول

التربية الحالي، وله العديد من الدراسات والبحوث التربوية في مجالات متعـــددة، وهو بجوار أستاذيته التربوية له اهتمام بالأدب ومشاركة فيه، وسوف يتضح ذلك في محاضرة اليوم، وحتى لا أضيع وقتكم أدعو أ.د. مصطفى رجـــب للحـــديث فليتفضل.

أدب الطفل: الواقع والمأمول

أ.د. مصطفى رجب

إن دراسة الشخصية القومية هي المدخل الأكثر مناسبة وتوفيقًا عند تناول موضوع أدب الأطفال، فأطفال اليوم هم رجال الغد وقادة الأمة وقواها الفاعلة في أي تغيير مطلوب. ولو أنصف الاقتصاديون والإعلاميون والسياسيون والتربويون لما أقدموا على أية خطوة بحثية، أو قرار تنفيذي، إلا بعد دراسة لما سيكون لهذه الخطوة البحثية، أو لذلك القرار التنفيذي من أثر في الأمة نفسيًا، واجتماعيًا، واقتصاديًا، وسياسيًا، ولن يتأتى لهم ذلك إلا إذا كانوا على معرفة علمية سليمة بثقافة الأمة وملامح شخصيتها القومية والتي يمكن تعريفها بأنها مجموعة الخصائص النفسية والاجتماعية التي تميز شعبًا من آخر وتتكون عادة من حصيلة تاريخية رصينة من العقيدة واللغة والمعتقدات الشعبية الأصيلة والمتوطنة.

وما يدعو لأكثر من الأسف أن هذه النظرة العلمية للشخصية القومية، وارتباطها بأنشطة الحياة كافة، لم ترد يومًا في بال العرب: باحثين كانوا أو صناع قرار، ولم تغب يومًا عن بال الصهاينة: باحثين كانوا أو صناع قرار!!.

وسوف يكون حديثي عن "أدب الأطفال بين الواقع والمأمول" محاولة التدليل على هذه الحقيقة المخزية، وأرجو من البداية أن أكون مخطئًا فيما ذهبت إليه.

واقع أدب الطفل العربي:

لقد بدأ اهتمام المثقفين العرب بأدب الأطفال مبكرًا مع بدايات النهضة العربية الحديثة. ففي الوقت الذي كان فيه الشيخ جمال الدين الأفغاني يطرح مشروعه النهضوي متوازيًا مع الإصلاحات التعليمية التي قادها الشيخان رفاعة الطهطاوي وعلي مبارك، ومتوازيًا أيضًا مع الثورة العرابية وما صاحبها من نهضة صحفية قادها عبد الله النديم. كان هناك الشاعر محمد عثمان جلال الذي ترجم قصصًا فرنسية موجهة للأطفال كتبها "لافونتين" مستفيدًا من حكايات إيسوب القديمة.

وأصدر "محمد عثمان جلال" هذه القصص مترجمة في ديوان نظمه أسماه "العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ". وعلى نهجه سار بعد ذلك كل من "إبراهيم العرب" و"أحمد شوقي ومن جاء بعدهما.. فتميز أدب الطفل خلال تلك الحقبة باقتصاره على الشعر من جهة، واعتماده على الترجمة من جهة أخرى. ومع أواسط القرن العشرين حين بدأت القصة العربية الطويلة (الرواية) في الظهور، بدأ الأدباء العرب يفكرون في إنتاج أدب قصصي للأطفال. فتأخر ظهور قصص الأدب كثيرًا بالقياس إلى شعر الأطفال، وظلت المحاولات في هذا المضمار ضعيفة وقليلة. إلى أن ظهرت كتابات الأديب المتميز المرحوم "كامل الكيلاني" الذي قدم مشروعًا أدبيًا تمثل في إنتاج قصص عربية للأطفال ذات مضمون هادف، فضلاً عما قام به من ترجمة. وحذا حذوه أدباء آخرون عاصروه وجاءوا من بعده لعل من أبرزهم المرحوم "عبد الحميد جودة السحار" الذي سد فراغًا تربويًا كبيرًا حين قدم مشروعًا خاصًا به هو إصدار سلسلة قصصية للأطفال قدم فيها السيرة النبوية بأسلوب رشيق.

في حين ظل مسرح الطفل مجالاً منسيًا إلى حد كبير. ولكن الاهتمام الرسمي بثقافة الطفل تأخر عن تلك الاهتمامات الفردية.

حتى جاءت حقبة الخمسينيات وتتابعت كتب الأطفال ومجلات الأطفال، وكانت هذه الحقبة هي نقطة البداية في أدب الأطفال في الوطن العربي، وأخذت هذه الأدبيات الخاصة بالأطفال تظهر في سوريا، ولبنان، والأردن، والعراق، والجزائر، وتونس، وبعض دول الخليج العربي، واليمن، والكويت، حتى قدر عدد الكتب الخاصة بالأطفال بنحو خمسة آلاف كتاب حتى عام ١٩٦٧م.

ورغم هذا الكم الذي يبدو هائلاً من كتب الأطفال إلا أن منظمة اليونيسيف قامت بعمل إحصائية مقارنة لكتب الأطفال في عام ١٩٧٩م، فأشارت النتائج إلى أن كتب الأطفال الصادرة في ذلك العام بلغت ٤,٨% في الاتحاد السوفيتي، و٣,٩% في الولايات المتحدة الأمريكية، و٢,٧% في المملكة المتحدة في حين أن نصيب الطفل العربي على مر السنين وليس في عام واحد من الكتب الصادرة لا يكاد يصل إلى نصف كلمة لكل طفل.

أما قصص الأطفال فتحتل نصيبًا كبيرًا بين كتب الأطفال إذ تتراوح بين ٥١,٣% و٦٧% منها، وتأتي الكتب الدينية على رأس قائمة الكتب الأخرى. حيث تمثل أكبر عدد من كتب الأطفال المطبوعة بنسبة ١٢,٦% -تتم حسابات اليونيسيف عن طريق حساب العلاقة الرياضية بين الكتب الخاصة بالأطفال –أو عنهم- من جهة وبين عدد الأطفال من جهة أخرى. وتشير الإحصاءات إلى أن عدد الأطفال في الوطن العربي من سن ٦: ١٢سنة بلغ ٣٥ مليون طفل سنة ١٩٨٥ ارتفع إلى ٥٠ مليون طفل سنة ٢٠٠٠م، وعدد الأطفال العرب من سن ١٢: ١٧ سنة بلغ ٢٨ مليونًا سنة ١٩٨٥م، ارتفع إلى ٤٤ مليونًا سنة ٢٠٠٠م- تليها كتب الآداب الأجنبية ٧,١% ثم كتب التاريخ والتراجم ٦,٨%، وكتب الجغرافيا والرحلات ٦,٤%، وكتب العلوم ٥,٤%، وكتب العلوم الاجتماعية ٣,٩%، ثم بقية الموضوعات الأخرى نجد الشعر والأناشيد في آخر القائمة بنسبة ٠,٢٧%. كما أن عددًا من الكتب الموجهة للكبار عن أدب الأطفال وثقافتهم ومكتباتهم قد بدأت بالظهور عام ١٩٦٨م، التي قد تصل في جملتها إلى ٥٠ كتابًا تقريبًا.

وإلى جانب قلة هذه الأعداد من كتب الأطفال والقصص فإن واقع مجلات الأطفال يبدو أشد شناعة من الكتب والقصص، إذ أن هذه المجلات تمثل علامة مميزة في حياة الأطفال لأنها أقرب إلى متناول اليد والذهن، ومن أشهر مجلات الأطفال وأبرزها مجلة "براعم الإيمان" التي تصدر ملحقًا لمجلة "الوعي الإسلامي" ومجلة "العربي الصغير" التي كانت ملحقًا لمجلة "العربي الكويتية" ثم استقلت، ومجلة "أحمد الكويتية"، و"سمير" و"ميكي" و"علاء الدين" في مصر.

وهذه الإحصاءات تعكس اهتمامًا ضعيفًا من المعنيين بما تمثله مرحلة الطفولة من أهمية ترجع إلى كونها مرحلة الإعداد وبناء لشخصية، ووضع الأسس القوية واللازمة لهذا البناء، ولذلك فهي مرحلة اكتساب المعلومات المهمة، إذ يتعلم الطفل خلالها معطيات واقعه الثقافي بشكل عام والظروف المحيطة به وفي هذه الفترة بالتحديد يكون الطفل أكثر استعدادًا من غيره لتقبل الرسائل التربوية والتثقيفية والإعلامية بأشكالها المختلفة التي تعرض عليه أو يتعرض لها ويكون

أكثر تأثرًا بهذه الأنماط الحياتية المختلفة أيضًا، وفي هذه المرحلة تلعب ذاكرة الطفل دورًا كبيرًا في اتساع عملية التحصيل والاحتفاظ بالمحصل واستدعائه عند الحاجة، لذلك فالطفل في هذه المرحلة أكثر ميلاً لكل ما هو جديد وأكثر تقبلاً للأفكار المختلفة وأكثر استقبالاً للمعلومات من أي مرحلة أخرى، ومن هنا فإن تحديد أهداف ثقافة الأطفال بشكل عام وأدب الأطفال بشكل خاص غاية في الأهمية لأن هذه الأهداف هي الوسائل الحقيقية التي ترتبط ارتباطًا وثيقًا بعمليات النمو المختلفة وعمليات التنشئة الاجتماعية.

وإذا كانت الإحصاءات السابقة قد أعطت مؤشرًا شكليًا خارجيًا، فإن الدارس للمؤشرات الكيفية لأدب الأطفال العرب خلال النصف الثاني من القرن العشرين يقف على حقيقة مخجلة، وهي أن قصص الأطفال التي تمثل أكثر من ٥٠% مما يطبع خاصًا بالأطفال تلتزم ثلاثة أنماط:

الأول: القصص المروى على لسان الحيوانات أو المكتوب عنها.

الثاني: القصص المترجم ومعظمه بوليسي.

الثالث: قصص الخيال العلمي وهو الأقل والأضعف في هذه الأنماط.

غير أن غلبة النمط الأول وهو القصص على ألسنة الحيوانات ترتبط به غالبًا أفكار خرافية تشيع فيها روائح التأثير النفسي المرعب مثل:

النعامة. الفيل. الصياد الماكر. الثعلب. اللص الذكي. الأرانب. الوحوش. الغول. التمساح. التنين. الساحر. الجنية. المارد... أليس هذا هو العالم الذي ينشأ فيه الطفل العربي من يوم أن يترك ثدي الأم إلى أن يدخل –أو يترك- مرحلة التعليم الثانوي أعني قرابة سن الخامسة عشر؟

وبعد أقل من عشر سنوات تالية يكون الطفل الذي نشأ في هذا الجو الأسطوري الضاجّ بالرعب، المحتفي بالجريمة، المشحون بالخوف مواطنًا تام المواطنة، رجلاً مكتمل الرجولة... وهو بهذين الوضعين [المواطنة- الرجولة] معرض لأن يكون ضابطًا في الجيش أو الشرطة، أو طبيبًا، أو معلمًا، أو قاضيًا، أو صحفيًا، أو مذيعًا... أو نشالاً في أحد الأماكن المزدحمة أو سائق سيارة، أو

عاملاً في مصعد، أو معيدًا في الجامعة أو حانوتيًا يدفن من استراحوا من حياتهم، أو رئيس حي أو –أخيرًا- أمينًا عامًا للأمم المتحدة!!.

وفي جميع أحواله ستواجهه مشكلات الحياة اليومية، وسيواجه شخصيات ممن حوله لا طاقة له بمواجهتها حينئذ سيلجأ بسرعة إلى (المخزن الثقافي) الكامن في أعلى سطح المخ البشري حيث اللاشعور، ليستخرج من نفائس الحكايات المختزنة فيه من أيام الطفولة ما يناسب المواقف الصعبة التي تواجهه، فرئيسه في العمل هو بذاته: التنين الأسود السام، أو التمساح الشرس، أو المارد المدمر ...الخ، وزملاؤه الأبرياء [الجبناء: في رأيه] ما هم إلا الأرانب، وهو تلك الفتاة المسكينة المغلوبة على أمرها التي يريد الساحر الجبار أن يسلبها كل شيء، وهكذا... يبدأ التحول النفسي في اللاشعور من مرحلة (المواطن التام المواطنة والرجل المكتمل الرجولة) التي آل إليها ظاهريًا، إلى مرحلة الخضوع والتأنث (حيث الأنثى هي الضحية الضعيفة دائمًا في حكايات الأطفال).

من هذه المحطة الأولى في حياة الإنسان العربي ..يبدأ قطار العمر رحلته المطاطية ابتداءًا من الجدل حول أول علاوة دورية يريد الحصول عليها وانتهاء بجلوسه على مائدة المفاوضات مع شيمون بيريز وغيره من دهاقنة الصهاينة!! أو جلوسه محنطًا أمام مذيع يستجوبه وهو يتهته ويتلجلج ويبرطم بكلام نصفه معرب ونصفه ما يزال أعجميًا.. كلام تافه ينطح أوله آخره وتتنكر معانيه لألفاظه، وتتبادل نقاطه مواقعها بعشوائية فوق الحروف فلا يعرف له –أي الكلام- رأس من قدم!!!.

إن قصص وحكايات الأطفال في بلداننا العربية تحتاج إلى غربلة مستمرة. لأن ما تحتويه من قيم وأفكار هو الأساس الذي تبنى عليه –فيما بعد- الشخصية العربية التي عانت وما تزال تعاني من الأثر السيئ لمناهج التعليم العربية المتخلفة التي لا يحلو لواضعيها أن ينتقوا من تراثنا الشعري إلا أرداه مضمونًا .. هذه ناحية، والناحية الثانية هي: كيف تكون لدى العرب كل تلك المؤسسات العلمية من جامعات ومعاهد متخصصة ومراكز بحوث ثم يبقى التأليف للأطفال خارج اهتماماتها؟.

إن التعليم في بلادنا العربية يعكس أبعاد الشخصية القومية العربية بوضوح. فالمدارس تنتشر والجامعات تتسع ومراكز البحوث تقام هنا وهناك، والمؤتمرات تنعقد لتنفض لتنعقد، واللجان (على قفا من يشيل) تجتمع وتنبثق منها لجان، وتنسق بين أعمال اللجان لجان أخرى. وتشكل الهيئات والمنظمات والاتحادات والنقابات والمؤسسات والجمعيات. ويلد كل تنظيم من تلك التنظيمات ما لا يقل عن عشرة مؤتمرات وعشر ندوات في كل عام لمناقشة قضايا سبق أن ناقشها تنظيم آخر!!!.

كل ذلك في شئون التعليم كما هو الحال في شئون السياسة والاقتصاد والاجتماع.. فلا يخلو قطر عربي من مراكز للبحوث التربوية والتنمية ولا تخلو جامعة عربية من مراكز للبحوث وتطبع في كل عام عشرات الكتب ومئات المجلدات الشاملة لخلاصات ما تداول في الندوات والمؤتمرات. وتناقش في الجامعات مئات الرسائل والبحوث العلمية لحل هذه المشكلة أو تلك من مشكلات التعليم. ومع هذا كله، فما تزال كتاباتنا التربوية تردد على أسماعنا أن مناهجنا فاسدة، وأن طرق تدريسنا بالية، وأن وسائل تعليمنا متخلفة. وأن المعلم العربي لا يستطيع أن يميز الخبيث من الطيب ولا الفائق من المتأخر في أثناء تدريسه. وأن طرق الامتحانات عندنا ما تزال تقيس الحفظ ولا تقيس الفهم، وتنتج مدارسنا طلابًا مقبولين تمت صياغتهم وفق مناهج صماء لا تعترف بما أودع الله بين خلقه من فروق فردية. ثم إن مناهجنا لا تواكب عصر الحاسوب ولا تنهل من مناهل الثورة المعرفية الراهنة. وما تزال تقف عند حدود ما أنتج داروين ومعاصروه!!.

وحال التعليم لا ينفك ولا ينفصل عن حال أدب الأطفال، فكلاهما بعيد بدرجة سحيقة عما يناط به من إعادة صقل الشخصية القومية بحيث تصبح الشخصية العربية ذات ولاء وانتماء لتراثها وعقيدتها وقضاياها الوطنية وعمقها القومي العربي/ الإسلامي.

واقع أدب الأطفال في إسرائيل:

وإذا كان ما سبق يشير إلى قصور ملحوظ في ادوار مؤسسات التنشئة الاجتماعية (التعليم وأدب الأطفال) فإن الناظر إلى الوضع ذاته في الكيان الصهيوني سيكتشف ما يندى له جبين الأمة العربية.

إن إسرائيل التي أنشئت بقرار مشكوك في قانونيته عام ١٩٤٨م تتألف من سبعين قومية، ويتكلم سكانها حوالي سبعين لغة من لغات البلاد التي هاجروا منها ومع ذلك، فإن الخطة النجسة التي وضعها هرتزل ورفاقه عام ١٨٩٧م في المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة (بال) بسويسرا، عملت –وما تزال- على صهر هؤلاء المهجرين من شذاذ الآفاق، وتوحيدهم على عدة مبادئ تستند إلى أكاذيب فندناها في مقال لنا نشرته (الشرق) في هذه السلسلة عنوانه: "الأكاذيب الثلاثة التي تحرك الصهيونية" مثل: شعب الله المختار، أرض الميعاد...الخ.

وقد وضع ذلك المؤتمر اللعين نصب عينيه العناية باللغة العبرية لتكون بديلاً للغات المحلية التي جاءت بها كل عصابة مهاجرة من مسقط رأسها.

ولهذا السبب الجوهري –أعني تعدد العرقيات واللغات- اعتمدت دولة إسرائيل اعتمادًا كبيرًا على التعليم والإعلام بوصفهما أهم وسيلتين لتشكيل (ثقافة واحدة) لأمة وليدة ما تزال تتخلق وتتلمس طريقها من أجل البقاء –وهي ابنة خمسين عامًا!!- وسط عالم عربي يجر وراءه تاريخًا حافلاً بالحضارة امتداده آلاف السنين.

ويقع أدب الأطفال موقع القلب من منظومة التنشئة الاجتماعية في أي دولة من الدول، ذلك أن ما يحفل به هذا الأدب من قيم ومبادئ وأفكار تتسرب إلى وجدان الأطفال فتسهم في تشكيل شخصياتهم، ورؤاهم، ومعتقداتهم وفق ما يتغياه ذلك الأدب من غايات، وما يرمي إلى غرسه من معتقدات يراد نشرها وتحويلها إلى مرتكزات النشء.

وقد وضعت الدكتور سناء عبد اللطيف كتابًا بعنوان "هكذا يربي اليهود أولادهم" كشفت فيه ما في كتب الأطفال اليهود من تعصب واستعانت في ذلك باللغة العبرية التي تتقنها إتقانًا تامًا، فاطلعت على مؤلفات الأدباء اليهود الذين يرفضون –عادة- ترجمة أعمالهم إلى اللغة العربية حتى لا يفضحوا سياساتهم وأفكارهم. وكتاب الدكتورة سناء –وهي من مواليد الإسكندرية بمصر سنة ١٩٥١م- كان في الأصل رسالة جامعية تقع في أكثر من أربعمائة صفحة. وترى الدكتورة سناء في بحثها هذا أن أدب الأطفال الإسرائيلي المعاصر في فلسطين بدأ

يظهر منذ عام ١٩٠٥م وكانت مصادره مستقاة من التوراة، وقد اهتم عدد من الأدباء اليهود بترجمة الكثير من آداب الأطفال العالمية، ونقلوها إلى اللغة العبرية. ثم ظهرت في فلسطين صحف لتسلية الأطفال، ولكنها كانت طفرة، فلم يستمر وجودها وقتًا طويلاً؛ لأن ما فيها كان أدبًا صهيونيًا للغاية، مفعمًا بالقيم اليهودية القومية... يعمل على تنشئة سياسية تهدف إلى خلق جيل ذي توجه صهيوني تاريخي، بالإضافة إلى التنشئة العلمية العقلانية.. من أجل خلق إحساس بالشعب اليهودي المضطهد في نفسية الأطفال، هذا الشعب الذي تعرض للاضطهاد والتنكيل على امتداد التاريخ، وفي كل مكان وجدوا فيه في العالم!!!.

وكان اضطهادهم من الضخامة والشراسة بحيث لا يمكن أن يعادله أي اضطهاد لأي جنس في العالم!! وأن أرض الميعاد –فلسطين- هي المكان الذي لا يتوفر فيه الأمن والأمان لليهودي، والشعار الأساسي عند الأدباء الصهاينة (لا ننسى .. ولا نغفر) لكي تبقى الأحقاد متوالية جيلاً بعد جيل.. فظهر أدب النكبة الذي يتحدث عن الاضطهاد النازي لليهود في أوربا ويتكل على ظاهرة التخفي بين يهود الشتات، حتى لا يعرف أحد يهوديتهم، والمعاناة التي قاسى منها اليهود في شتاتهم، وبما أن "بن جوريون" يرى أن الصهيونية تعني الهجرة إلى فلسطين والاستيطان فيها، فإن أدباءهم قد ركزوا في قصصهم للأطفال على أمنيات أبطالها في الهجرة إلى فلسطين.

ويوصي أدب أطفال اليهود في الكيان الصهيوني المغتصب بضرورة الحفاظ على دولتهم والارتباط بها، فهم يؤكدون أنه فلسطين، ويكررون ذلك، لأن التكرار هنا يحدث في وجدان الأطفال إيقاعًا حنينيًا لفلسطين، ومن ثم يشيعون فكرة أن أرض فلسطين كانت خربة قاحلة، لا زرع فيها ولا نبت، بالرغم من جمال جوها!، وأن اليهود هم الذين جاءوا يزرعونها.. ويحاولون نفي وجود فلسطينيين في أرض فلسطين منذ أيام إسحاق وإبراهيم عليهما السلام.

وورود ذكر الفلسطينيين قد جاء من قبيل المفارقة التاريخية في بعض قصصهم، وأن فلسطين هي الأرض المقدسة التي يقطن فيها الرب، وهي أرض الميعاد والمعاد، والأرض المختارة والبهية، وأن تعاليم التوراة لا تطبق كاملة إلا

في أرض فلسطين، والسكنى في فلسطين دليل على الإيمان، ومن يقيم خارجها كافر!!.

وفي السياق نفسه أعد الأستاذ سمير سمعان دراسة بعنوان "أضواء على التوجهات العنصرية في المناهج التعليمية الإسرائيلية: النظرة الإستعلائية تجاه العرب وتزوير التاريخ الإسلامي" وعرضتها جريدة الرياض السعودية (العدد ١٢٤١٨ الصادر في ٢١ يونيو ٢٠٠٢م/ ١٠ ربيع الثاني ١٤٢٣هـ) ويعرض معد الدراسة فيها ما تسعى إليه الكتب المقررة في إسرائيل من تشويه للتاريخ العربي والإسلامي. مضافاً إلى ذلك ما يقوم به أدب الطفولة اليهودي الذي ينمي في نفوس الناشئة اليهود مشاعر القلق والتوتر والخوف من المستقبل المجهول. وبات الأدب يعبِّر عن وجهة نظر أحادية الجانب هي وجهة نظر المؤسسة العسكرية الإسرائيلية التي تخلو من أي نظرة إنسانية للعربي الفلسطيني والعربي المسلم، حيثما وجدوا. وقد ذكر معد الدراسة أن الصحيفة الخبيرة في شئون التربية نيلي مندلر، من خلال تحليلها لسلسلة كتب المطالعة في صحيفة هآرتس يوم ٢٠/ ١١/ ١٩٨٤م اعترفت بالقول: " حيثما تفحصنا وفتشنا كتب قراءات إسرائيل وقراءات إسرائيل الحديثة وجدناها محشوة بعبارات التحقير للعرب والأوصاف غير الإنسانية المتوحشة، في حين أن الكتب المرجعية التي تقررها وزارة المعارف والثقافة الإسرائيلية والمتداولة بين أيدي المعلمين والمربين هي أشد عنصرية وأكثر فظاعة مما يستخدمه الطلبة أنفسهم".

كما أوضح معد الدراسة الأستاذ سمير سمعان أن من يطلع على مناهج التعليم في المدارس الإسرائيلية في سائر المراحل الدراسية تتكون لديه فكرة راسخة للتوجه العام في التنشئة التربوية للطفولة اليهودية في إسرائيل، فبمجرد أن يتفحص أي كتاب بهدف التعرف والالتحاق بالجيش وإعداد الطفل منذ نعومة أظفاره ليصبح مقاتلاً. هذه الروح التي سادت منذ قيام إسرائيل عام ١٩٤٨م فتغلغلت في سائر الأجهزة الرسمية والشعبية الإسرائيلية، ضمن محاولة لخلق "الإسرائيلي الجديد" أي الإسرائيلي اليهودي الذي خرج منتصرًا في حربه ضد سبعة جيوش عربية، فعاد ليقيم دولته بعد ألفي عام، وهذا جزء لا يتجزأ من

الإدعاءات التي تحمل الطابع الأسطوري، إذ أن هذه الروح اشتدت بعد عدوان حيزران ١٩٦٧م واحتلال بعض الأراضي العربية، مما مكن الجنرالات العسكريين من الانتقال إلى الحياة السياسية واحتلال مناصب ومواقع عليا على قمة الحكم، ليكونوا فيما بعد النخبة الحاكمة وأصبحوا في نظر الطفولة والناشئة اليهود نماذج يحتذى بها في كل زمان ومكان وأكثر إغراءً وإشباعًا للطموح الصهيوني المجذر في أذهان أبناء هذا الجيل والأجيال القادمة.

وقد استشهد "سمير سمعان" بما جاء في صحيفة هآرتس الصادرة في ٢٠/ ٥/ ٢٠٠١م أن مؤسستين أكاديميتين إسرائيليتين بادرتا إلى دراسة ما آلت إليه التربية الإسرائيلية عبر ٥٣ عامًا من نتائج انعكست على المسيرة الإسرائيلية الداخلية أولاً، ثم على العلاقات الفلسطينية العربية الإسرائيلية، وقبل كل شيء على العلاقات الفلسطينية الإسرائيلية كونها المؤشر والميزان الحقيقي والعملي المنظور لهذه العلاقات التي مازالت تمارس في إطار من العداء الصارخ والحقد والعنف الذي عمق الصدام الدامي. ولدى بحث هذه النتائج في يومين دراسيين الأول حمل عنوان "اليوم التالي" والثاني حمل عنوان "العسكرة والتربية: نظرة نقدية"، خلصت الكاتبة "أرنا كازين" إلى إعداد تقرير وضعت ملخصًا له في صحيفة هآرتس، وأشارت فيه إلى الملامح العامة للتربية الإسرائيلية المبنية على روح العسكرة منذ مرحلة الحضانة التي يبدأها الطفل الإسرائيلي اليهودي في المواقع ليس هناك أي غرابة في القرارات الأخيرة التي اتخذتها وزيرة المعارف في حكومة "شارون ليمور لينفات" بأنها تنسجم والرياح التي تهب منذ سنوات في هذه المؤسسة التي تضع التربية الإسرائيلية وتصيغها لتلائم تعاليم جابوتنسكي ويوسف تروبلدور ومناحيم بيغن ومنظمة بيتار. لقد ألقت (ما بعد الصهيونية PostZionisn بحيث ردت على ذلك بإقرار تدريس موضوع جديد أشد عنصرية باسم تراث إسرائيل) لتطبق بذلك توصيات لجنة "شنهار" التي أوصت بتوسيع الدراسات اليهودية، كما أمرت الوزيرة برفع العلم الإسرائيلي على جميع المدارس. ويوضح المعد أن الباحثين عادوا ليؤكدوا من جديد في اليوم الدراسي حول "العسكرة والتربية: نظرة نقدية" الذي عقد في الجامعة العبرية ومعهد

الكيبوتسات ٣٠/ ٥/ ٢٠٠١م أن جهاز التعليم الإسرائيلي لا يخلو من التربية على المواطنة والديمقراطية، ولكن تقوم المدارس بالتربية على العسكرة، إن التصعيد في الصراع مع الفلسطينيين وتقبل المواطنين الإسرائيليين لهذا التصعيد دون مقاومة، هو نتيجة لهذه التربية.

تقول الباحثة حاجيت غور رئيف من مركز التربية النقدية في معهد الكيبوتسات: "إن التربية على العسكرة تتم بأساليب مختلفة، ففي يوم الاستقلال يتسلق أطفال الروضات على الدبابات ويزينون روضاتهم بأعلام وحدات الجيش الإسرائيلي، بدلاً من الاحتفال بقيم الديمقراطية والمساواة والسلم. وحتى في الأعياد الأخرى الدينية فإن ما ينقل إلى الطلبة، في الغالب هو المفاهيم والقيم العسكرية. فدائمًا هناك تمييز بين: "نحن وهم"، الطيبون والأشرار، "هم" أي: الغير، وهم دائمًا الأشرار فمثلاً: في عيد الحانوكا (الأنوار) يصور الآخرين بأنهم أشرار ونحن (اليهود) الطيبون، وهكذا المصريون الفراعنة في عيد الفصح، والعرب في عيد الاستقلال، والرومان في عيد العنصرة، ويتجاهل جهاز التعليم معاني الثقافة والديمقراطية بهذه الأعياد". وتضيف الباحثة غور زئيف قائلة: إن كل المعاني الديمقراطية تغيب عن برامج التعليم بسبب التأكيد على تطبيق قاعدة "نحن وهم" – الأغيار - الغوييم، ولا يتعلم الطلبة التمييز بين مركبات هذه الشخصية الأسطورية. هل مردخاي طيبًا (مردخاي شخصية يهودية أنقذت اليهود من بطش الملك بواسطة الحيلة. في قصة البوريم/ عيد المسافر) حافظ على يهوديته مقابل إلحاق الأذى بالآخرين؟ وهل استعملت أستير (فتاة يهودية في القصة) أنوثتها من أجل النجاة، ويمكن هنا التحدث مع الطلاب عن مدى استعمال النساء أنوثتهن في حالات كهذه وغيرها. بين الحين والآخر يقرأ الطلاب أسئلة موضوعها الجيش تظهر في كتب الرياضيات.

وهناك من الباحثين من يرى أن التربية الدينية الصهيونية تعتمد اعتمادًا كبيرًا على القصص لتحقيق أهدافها وفي مقدمتها: تكوين الاستعداد لدى الأجيال اليهودية المتعاقبة للتوسع والاحتلال والعنف بحجة إنقاذ الأرض وتحقيق الوعد الإلهي المزعوم.

وفي هذا يقول نائل نخلة مراسل مجلة البيان في فلسطين www.albayan-magazine.com تهدف التربية الدينية إلى تربية الطفل جسديًا واجتماعيًا وانفعاليًا وعقليًا عن طريق قصص من التوراة وأسفارها. ويستشهد نخلة بما قاله حاييم وايزمن أول رئيس لدولة إسرائيل حين قال: "عندما بلغت ما لا غنى عنه لأي طفل يهودي، وخلال السنوات التي قضيتها في مدارس الدين تلك، كان عليّ أن أدرس أشياء من أصول الديانة اليهودية، والذي ملك عليّ لبي هو سفر الأنبياء" وما يمكن ملاحظته وفقًا لأبي جابر هو الاهتمام الكبير بتدريس المواد الدينية في جميع مراحل التعليم لأبناء اليهود أينما وجدوا؛ حيث تأتي مادتا التوراة والتلمود في مقدمة الدراسات، وتعتبر المادتان أساسًا وإطارًا للغايات التربوية، حيث يقول مائير بار إيلان أحد مفكري التربية اليهودية: "إن روح التلمود ومعرفة عامة شرائعه وآدابه يجب أن يكون جزءًا من دراسة كل يهودي متعلم، حتى وإن لم يكن سيجعل من حقل الدراسة هذا مجالاً للعمل، والأمر شبيه بتعليم الفيزياء والرياضيات؛ فمع أنه ليس كل تلميذ يتخصص فيهما، ولا يستخدم جميع ما يتعلمه فيهما في حياته العملية، إلا أنهما ضروريتان له؛ كذلك بالنسبة للتلمود يجب أن يحفظ كل تلميذ مقاطع معينة منه وأن يتشرب روحها.

ونورد هنا بعض التعاليم والأحكام التي يحتويها التلمود؛ حيث صيغت بمهارة فائقة: "اليهودي لا يخطئ إذا اعتدى على عرض الأجنبية، فإن عقود الزواج عند الأجانب فاسدة؛ لأن المرأة غير اليهودية بهيمة ولا تعاقد مع البهائم. يجوز لليهودي أن يقسم زورًا ولا جناح عليه إذا حول اليمين وجهة أخرى.

إن أخطأ أجنبي في عملية حسابية مع يهودي فعلى اليهودي أن يقول له: (لا أعرب) لا أمانة، ولكن حذرًا؛ إذ من الجائر أن يكون الأجنبي قد فعل ذلك عمدًا لامتحان اليهودي وتجربته. من يقتل مسلمًا أو مسيحيًا أو أجنبيًا أو وثنيًا، يكافأ بالخلود في الفردوس وبالجلوس هناك في السراي الرابعة".

يقرر التلمود أن اليهودي يعتبر عند الله أفضل من الملائكة؛ لأن اليهودي جزء من الله مثلما الابن جزء من أبيه.

ولا نستطيع قراءة كل ما جاء في كتب التدريس، ونكتفي بذكر الآتي: وهو وجود كتاب لتعليم القراءة تحت عنوان: "مكريؤت إسرائيل" للصفوف الدنيا من الصف الثالث وحتى الثامن.

وقد قام الدكتور دانئيل بارتنا –محاضر علم النفس في قسم التربية بجامعة تل أبيب- بدراسة تطرق فيها إلى هذا الكتاب قائلاً بأنه بواسطة الكتب التعليمية تمت عملية غسيل دماغ للطلاب ليكرهوا العرب مما ينطوي على أبعاد مزعجة؛ إذ تصور العرب بملامح سلبية: إنهم وحوش وغير إنسانيين؛ فلا يمكننا تجاهل النتائج التي يستنتجها طفل لدى قراءته الخلاصة والأحكام التي يخرج بها عن العرب كلهم.

وفي كتاب آخر لتعليم اللغة أصدرته دار النشر "هيبوتس همؤحد" في السبيعينيات ومازال يدرس حتى يومنا. جاء في ص ٢٧٧: "جلب اليهود روح التقدم والازدهار إلى الشرق الأوسط؛ بينما زاول العرب أعمال النهب والسطو والقتل".

وقد استعرض سمير سمعان في تقديمه لكتاب "أضواء على التوجهات العنصرية" الذي سبق ذكره [جريدة الرياض الصادرة يوم ٢١ يونيو ٢٠٠٢م] أكثر الكتب تداولاً وشيوعًا تلك التي تدرس في المدارس اليهودية في فلسطين المحتلة منذ اغتصابها عام ١٩٤٨م كسلسلة كتب أخبار الأيام "التاريخ" وسلسلة وقائع شعب إسرائيل، وكتب جغرافية بلادنا (إسرائيل) إلى جانب كتب المطالعة المحشوة بمعاني التعصب والعبارات الاستعلائية والاستعدائية التي تتكرر في كتب (قراءة إسرائيل وسلسلة كتب (هذا موطني). أما أخطر الكتب توجيهًا للناشئة اليهود فهي الكتب الخاصة بتربية الأطفال بحيث تصطحب هذه الكتب الطفل اليهودي من رياض الأطفال وكافة المراحل الدراسية ومتابعة مسيرتهم حتى النهاية لشحن الطفل اليهودي بأقصى درجات العدوانية تجاه كل ما هو عربي، أو كل ما يحمل سمات العروبة والإسلام فوق أرض فلسطين وسائر الأراضي المحتلة.

وتقوم دور النشر بشكل متواصل بعرض العديد من هذه المؤلفات التي كتبت بأسلوب مشوق وممتع يجذب الطفل، وبين أكثر هــذه الكتــب رواجًــا "عــصابة تشوبشيك" و"أربعة أصدقاء" و"عملية غوش عتسيون" وكلها بقلم أرنونه جــذوت، و"مقتحمو الأهرامات" تأليف رفائيل ساهر، و"عصابة الأصدقاء في تصعيد وتعقب المخربين" بقلم ج. ألياف وح. أورحيل و"أطفال البلد العتيقة يحاربون المتــسللين" بقلم ح. ألياف وح.حيبوري، و"سلسلة داني دين" بقلم أن سريغ وسلسلة "حــسبما" بقلم يفئال موسيزون، و"عصابة تجراتجر الحازي لوفيان الغضب الغضب".

يقول سمير سمعان إذا كانت الكاتبة الصحفية نيلي مندلر قد كشفت منذ عــام ١٩٨٣م في مقالاتها العديدة حقيقة ما يقدم من التوجه وغسل الأدمغة فــي إطــار أدبيات الطفولة التي تبرز فيها الصورة البشعة للإنسان العربي، والتــي تــصفها مندلر في صحيفة هآرتس يوم ١٣/ ١١/ ١٩٨٣م: "إنها غسيل دمــاغ وتطهيــر رؤوس" فإنها قد أقرت بأن الإنسان العربي لا يزال يبدو في كتب التدريس العبرية "إنه وحش ونذل"، فقد وصف الدكتور دانيئل بركال أحد خبراء التربية في جامعة حيفا بأن ما يكتب عن أدب الطفولة اليهودية ليس سوى غسيل دماغ من أجل كره العرب بينما قال عنها البروفيسور أدير كوهين في كتابه "وجه قبيح فــي المــرآة" الذي صدر عام ١٩٨٥م عن مؤسسة رشغيم: بعد استطلاع شارك فيه أكثر مــن ٥٢٠ طالبًا أن مستوى الخوف من الإنسان العربي عال بشكل مذهل، ففي أكثــر من ٧٥% من الإجابات ترافقت شخصية العربي مــع خــاطف الأولاد والقاتــل والمجرم ورجل المخابرات القاسي الذي في وجهه ندبة والذي يسطو دائمًا علــى الكيبوتسات من أجل النهب والسلب. وفي سلسلة من حكايات الطفولة لأون سريغ "داني دين في حرب الأيام الستة" يقوم المؤلف بتشويه صورة الجنــدي والمقاتــل العربي. وفي كل فصل من الفصول الأربع والعشرين يظهر فيها داني دين بشكل يختلف عن الذي سبقه وفي كل حالة يكون خارقًا ويلحق بــالعرب الهــزائم تلــو الهزائم. فلهذه الكتب طابع آخر هو تربية النشء ليرى في الاحتلال أمرًا عــادلاً ويتجاهل الشعب الآخر وحقوقه حيث يقول: "لنا كل هذه الــبلاد، نحــن ســادتها المطلقون وإننا سنحرر كل هذه البلاد من نير العرب الذين غزوها ويريدون جعلها

جزءًا من بلاد العرب، وإنها ستعود وتصبح كلها لشعبنا –فيا جنود إسرائيل، الوطن المستعبد ينتظركم بفارغ الصبر فتقدموا وحرروا يهودا وافرايم".

كما عرض سمير سمعان كتاب "مائة وعشرين قصة وحكاية متخصصة" للقاص شراغا جفني والذي يحمل في كل قصة اسمًا مستعارًا يصف العرب بأنهم قتلة يهاجمون المستوطنات وأن سلوك اليهود تجاههم يكون دائمًا مثاليًا. وفي كتاب "رجال في التكوين" تأليف إليعازر شموئيلي (أحد فلاسفة التربية الصهيونية في وزارة المعارف) يصف في كتابه منذ طبعته الأولى عام ١٩٣٣ وحتى طبعته الثانية عشرة عام ١٩٧٢م، الإنسان العربي بأنه طويل القامة عريض المنكبين يلمع في عينيه بريق الغضب ووجهه قاس وجبينه ضيق وصغير وشاربه مدبب على شكل قرنين، عيناه صغيرتان تدوران دومًا في محاجرها وأنفه نسري معقوف. وفي كتاب آخر بعنوان "ليس على جادة الصواب" يظهر اليعازر شموئيلي الإنسان العربي بشكل مرعب مما يدعو إلى بث الخوف والرعب في قلوب الأطفال وزرع الحقد في أذهانهم مع تشويه صورة الإنسان العربي بكل المعايير والمقاييس. وفي كتاب "أولاد المدينة القديمة وحربهم ضد المتسللين" تأليف حاييم الياف تبرز بطريقة أكثر شمولية عملية تقبيح صورة الجندي العربي.

وفي هذا الإطار صدرت مؤخرًا في الكيان الإسرائيلي طبعة جديدة في سلسلة قصص وحكايات الطفولة الخيالية "حسمبا" (المجموعة السرية المطلقة بالتمام) التي بدء نشرها وترويجها منذ عام ١٩٥٠م على حلقات في جريدة "مشمار" للأولاد (بمعنى المرصاد) ويعتبر هذا النوع من القصص من أوائل قصص الفتيان المكتوبة باللغة العبرية بعد نكبة عام ١٩٤٨م، حيث يمكن إدراجها ضمن سلسلة "جانر" –كتب المغامرات المثيرة- وبعد أن سجلت قصص "حسمبا" رقمًا قياسيًا في المبيعات، وبأنها أكثر الكتب الشعبية التي يستهويها القراء الصغار بين الناشئة الإسرائيليين من اليهود إلى درجة تفوق القصص الأجنبية الشهيرة مثل روبنسون كروز وجزيرة الكنز، وأليس في بلاد العجائب، وماكس وموريتس، وتو سوير وثمانون ألف ميل تحت سطح المياه" وغيرها لما تتضمنه من خيال مجنح وإرهاصات ذهنية تسيطر على عقول الناشئة اليهود، سيما وأن للإنسان العربي

المشوه حضور بارز في سلسلة "حسمبا" هذه العنصرية في جوهرها التي تجلت عبرها (النظرة الثقافية) الصهيونية بكل معانيها والتي أرست ورسخت القاعدة الثابتة والمدماك الأول في بناء الموقف التنميطي المقولب (Stereotype) في النظرة الدونية إلى العرب، فإن ما واصلته سلاسل قصص أخرى شبيهة جدًا يصعب حصرها منذ مطلع الخمسينيات كما أسلفت، فإن باحثًا تربويًا مثل أورئيل أوفك متخصص في كتابة قصص الطفولة يعمل مدرسًا لهذا الأدب في جامعات عدة وكليات لإعداد المعلمين في إسرائيل ويصدر كتبه هذه منذ عام ١٩٧٨م، جاء ليؤكد اليوم من جديد على العنصرية المتمثلة في هذه السلاسل التي وصفها بالفاسقة، والتي تشكل خطرًا على القراء اليهود الصغار بفعل تلويثها لنمطية التفكير لدى الجيل الحالي المتحكم بمقاليد الأمور في سائر مؤسسات الدولة العبرية، العسكرية والمدينة، بحيث ذهب هذا الخبير التربوي إلى القول بأن هذه القصص تشكل مصدر إلهام للمغامرات والمكائد لدى الفتية والناشئة اليهود، فانطلقت من أفواههم صرخات الحرب الصاخبة تردد حسمبا! حسمبا! حسمبا! ولعل أهم صرعات "حسبما" في الأدب القصصي للطفولة مغامراته في ثلاث معارك شكلت ثلاث مواقف بارزة مثلت مواقف الذروة: ("حسمبا" في معتقل الجيش العربي، و"حسبما" أثناء المعارك في شوارع غزة، و"حسمبا" واللغز المجهول في الحدود الشمالية).

أما الذي حفز الكاتب "يغئال موسينزون" على اختيار هذا النمط من القصص إدراكه لإعجاب الأطفال اليهود لشخصية طرزان المنقذ المصاحبة دائمًا لأكثر حيوانات الغابة تندرًا وبهلوانية (القرد) تمامًا كالقرد الذي يصاحب ويرافق "حسمبا" في جولاته ومغامراته ليسهل انتقال الأطفال اليهود من طرزان إلى "حسمبا" الذي يجسد مجموعة من المغامرين في شخص واحد، حيث لاقى هذا التنميط رواجًا كبيرًا بين أبناء الكيبوتسات لاسيما وأن المناخ العام لتلك السنوات (منذ الخمسينيات) تميز بما يوصف بالنضال اليهودي، والحرب من أجل إنشاء إسرائيل بعد تغلب العصابات اليهودية (الهاغانا- إتسل ولحي) على المقاتلين العرب.

وحظي هذا الكتاب بنجاح باهر (ومفهوم طبعًا!)، وظهرت في أعقابه على فترات متقطعة أربع وعشرون قصة أخرى من سلسلة "حسمبا" وفي الكتب الأخيرة من هذه السلسلة، التي صدرت قبيل كتابة هذا البحث بسنوات قليلة "حسمبا في غزوة قناة السويس" التي صدرت عام ١٩٧٠م، و"حسمبا في مواجهة الخاطفين" التي صدرت عام ١٩٧٧، و"حسمبا في سلاح الجو". هذه السلسلة خلقت ما يمكن اعتباره "موجة جديدة" في أدب الأطفال العبري.

وفي دراسة للباحث المصري د. فوزي الأسمر موضوعها "الشخصية العربية في قصص الأطفال العبرية التجارية" [www.ac115.tripod.com/maqalat/33/33.htm] ذكر الباحث أن الشخصية العربية كما صورت في قصص الأطفال التجارية باللغة العبرية في فلسطين المحتلة، تمثل انعكاسًا للأفكار التي حملتها الحركة الصهيونية، ولا تزال، عن العرب بشكل عام والفلسطينين العرب بشكل خاص. وأستطيع أن أقول إن صورة هذه الشخصية لم تقتصر على اليهود "الإسرائيلين" فحسب، بل نقلت وقبلت عند الكثيرين من يهود العالم وعند قطاع كبير من الرأي العام العالمي، خصوصًا الغربي منه. وللأسف الشديد، فإن الحركة الصهيونية استطاعت أن توجه أنظار الرأي العام العالمي إلى منظارها ليرى من خلاله شخصيتنا العربية، ويحكم علينا نتيجة لتلك الرؤية.

وقد ظهرت هذه الرؤية واضحة في كثير من الكتب، ولاسيما الكتابين اللذين كتبهما د. إدوارد سعيد عن الاستشراق والمشكلة الفلسطينية. فالحركة الصهيونية كانت تعرف قيمة السيطرة على الرأي العام العالمي، ومدى انعكاس هذه السيطرة على مقدرة تحقيق أهدافها في فلسطين بخاصة، وفي الشرق الأوسط بشكل عام. كحركة استعمارية استيطانية فقد تحتم على الصهيونية أن ترسم الشخصية العربية في أدنى المستويات، وتنتزع كل حقوقها حتى تستطيع أن تبرر ما تقوم به في فلسطين.

إن أدب الأطفال العبري هو الذي يخطط السياسة العنصرية التي انتهجتها حكومات في "إسرائيل" منذ أن قامت الدولة اليهودية على أرض فلسطين. ويمكن

القول أن أدب الأطفال يشكل عنصرًا ثقافيًا، ويترك أثره على نفسية الصغار، والذين هم في الواقع رجال المستقبل ونساؤه، وصانعو القرارات السياسية، والتي قد تكون لها أبعاد علينا جميعًا، وهذا ما نراه ونلمسه الآن في فلسطين التي احتلتها إسرائيل "كلها"، وفي تصرفات "إسرائيل" في لبنان، وفي نسف المفاعل النووي العراقي، وفي ضم مرتفعات الجولان السورية إليها.

وفي بحث متميز أعده محمد توفيق الصراف بعنوان (إطلالة على صورة العربي في أدب الأطفال الصهيوني) يناقش المؤلف الجوانب المختلفة لصورة الإنسان العربي كما ترد –مشوهة بالطبع- في كتابات الأدباء الصهاينة الذين يكتبون للأطفال، ويقول: "وتفاديًا لاحتمال اتهامي بالافتراء على مضمون الأدب الصهيوني ومؤلفيه وقرائه معًا، لوقوفي –كعربي- على الطرف الآخر من الخندق، سأقدم بين يدي حديثي عن هذا الأدب وخصوصًا الموجّه للأطفال، بما كتبه أحد مشاهير الصحافة والسياسة، في الكيان الصهيوني وهو (أوري افنيري) صاحب مجلة (هعولام هزه)، وعضو كنيست سابق، ومحسوب على المعارضة دائمًا، ومتزعم حركة (جوش شالوم) التي ظهرت في الكيان مؤخرًا، عقب المجازر التي نفذها شارون بحق الفلسطينيين، والتي غايتها جمع الأدلة التي تدين الضباط والجنود الصهاينة بارتكاب جرائم حرب، وتقديمها إلى محكمة الجنايات الدولية الجديدة، ليتم استدعاؤهم إليها، ومحاكمتهم على جرائمهم، ففي دراسة مثيرة كتبها في ثمانينات القرن الماضي، بدأ أفنيري حديثه بهذا النداء المثير للاستغراب والدهشة فعلاً: "أنت أيها المواطن الإسرائيلي! إذا أردت أن تربي في بيتك فاشيًا أو نازيًا صغيرًا فما عليك سوى أن تذهب إلى مكتبات الأطفال، وتشتري واحدًا من كتب عضو الكنيست جينولا كوهين أو رفاقها في العنصرية والإرهاب والتطرف".

ومن الواضح أن كلام أفنيري هذا ينطوي على اتهام صريح لمضمون أدب الأطفال الصهيوني بالعنصرية والفاشية من جهة، وبالتحريض على الإرهاب والتطرف من جهة أخرى، ولا حاجة بنا إلى الكثير من التفكير لنكتشف أن العرب هم الطرف المستهدف بهذا التحريض. أما لماذا اختار أفنيري كتابات جينولا

كوهين نموذجًا للدلالة على عنصرية أدب الأطفال الصهيوني، فقد كان ذلك، كما توهم، للربط بشكل غير مباشر بين مضمون هذا النمط من الأدب ووظيفته وأهدافه السياسية في آن واحد من خلال شخصية كاتبته التي مارست السياسة والتأليف الأدبي معًا، واشتهرت في المجالين بالتطرف العنصري المفرط ضد العرب.

ولعل من اللافت أن اتهام أدب الأطفال الصهيوني بالعنصرية لم يأت على لسان افنيري وحده، بل شاركه توجيه هذا الاتهام نقاد وأدباء آخرون في الكيان الصهيوني، لعل من أبرزهم الدكتور أدير كوهين الذي تحدث في مقال نقدي له بعنوان "كيف يصورون العربي في قصص الأطفال الإسرائيلية" عن التشويه المتعمد لملامح الإنسان العربي في نحو ٨٠% من قصص الأطفال الصهيونية التي أتيحت له مطالعتها، مبينًا أن الغاية من هذا التشويه هو زرع كراهية العرب والحقد عليهم واحتقارهم في نفسية الطفل اليهودي، من خلال تقديمهم له في أقبح صورة خلقية ممكنة.

ويمكننا التعرف على أهم ملامح هذه الصورة من خلال مطالعة بعض القصص التي عرض لها الدكتور كوهين، من مثل قصة (الجواسيس الشباب في عملية سيناء)، لمؤلفها "حازي لابين" الذي وصف الحارس المصري فيها بالبشع ذي الشارب الأسود الكثيف والعينين القاسيتين، والأسنان التي تشبه أسنان ذئب مفترس، وتشبيه العربي بالذئب وغيره من الحيوانات تحقيرًا له، يتكرر هذا في الكثير من قصص الأطفال الصهيونية التي يضيف مؤلفوها إلى ذلك التشبيه سلسلة من الأوصاف السلبية الأخرى التي لم تتردد ناقدة يهودية هي "تمار ماروز" في اعتبارها شتائم أكثر منها أوصافًا، كما ورد في دراستها: (العنصرية في أدب الأطفال الإسرائيلي) ومن تلك الأوصاف التي تذكر مارون أنها عنصرية مثل تلك التي أطلقها "أوين شريج" على العرب في بعض قصصه: (حمير، جراد، خنازير).

ولم يكتف مؤلفوا أدب الأطفال الصهيوني بتشويه الملامح الخلقية للعربي، بل سخروا من ملابسه التي أرادوها منسجمة، في قبحها وقذارتها مع ما زعموه من

قبح وجهه وجسمه، ومع ما نسبوه إليه من طبائع وخصال نفسية وسلوكية قــذرة أيضًا، كما أرادوها دالة على تخلفه العقلي والحضاري والاجتماعي، لزيادة تنفيــر قارئهم الصغير منه، كما أشار لذلك الدكتور "أدير كوهين".

والحديث عن تخلف العربي في أدب الأطفال الصهيوني ذو شجون؛ لكثرة ما فيه من مبالغات تنضج بالحقد والافتراء والتزوير، وأول مظاهر التخلــف عنــد العربي –كما يزعم مؤلفوا هذا الأدب- هو تخلفه العقلي، مع ما يلازم هذا التخلف عادة من غباء وانحطاط فكري وثقافي واجتماعي، وجهل تــام بكــل مــا يمــت للحضارة وأسبابها ومبتكراتها من صلة، حتى ليكاد يبدو فــي بعــض قصــصهم مخلوقًا ممسوح العقل تمامًا.

ومن اللافت أن وصم العربي بهذه السمة المفتراه، تشمله فردًا عاديًا ورجل دين أو قائدًا عسكريًا، وحاكمًا أيضًا، ومن أكثر القصص التي ظهر العربي فــي سياقها مخلوقًا غبيًا مضطرب التفكير، تلك التي كتبها "أوين شريج" الذي كان قبل أن يصير مؤلفًا، عضوًا في منظمة "لحيي" الإرهابية المعروفة.

ومادام العربي على هذه الدرجة من التخلف العقلي، فلابد أن يكون جهله من النوع الذي لا يدانيه جهل عند أي من أمم الأرض، قديمها وحديثها، كمــا يــزعم مؤلفو أدب الأطفال الصهيوني، مؤكدين أنه جهل مطبق لا شفاء للعربي من لوثته، لأنه يتغذّى بزعمهم من رفضه الفطري لتلقي العلم وتحصيله!!، وهــذا الــرفض المزعوم كان السبب الحقيقي في العداء المستحكم بين العرب والحضارة، كما كان العائق الذي حال دون تغيير أي شيء فيهم، منذ آلاف السنين!!.

<u>محاذير جديدة:</u>

وإذا كانت الموازنة بين واقع أدب الطفــل العربــي، وواقــع أدب الطفــل الصهيوني ترجح كفة الأخير، فإن هناك محاذير جديدة تمثل تحديات إضافية أمام أدب الأطفال العرب. وأهم هذه المحاذير ظاهرة العولمة بما تمثله من رغبة غربية قاهرة في التهام الثقافات الأخرى المنافسة.

فمع بداية القرن الحادي والعشرين انفجرت الأحداث الكونية بصورة مؤسفة!! فقد هوجمت الولايات المتحدة في مقر وزارة دفاعها ذاته وتحطم أشهر رموز حضارتها الحديثة: برجا التجارة في ١١ سبتمبر ٢٠٠١م ثم بدأت غزوًا سريعًا لأفغانستان فالعراق، وهي التي كانت تنتظر تحقيق نبوءة بوش الأب بأن القرن ٢١ هو أمريكي اللون والطعم والرائحة والجنسية، وكان العرب من تلك الأحداث في معزل، مع أن الغرب أراد لهم أن يكونوا في البؤرة منها... ولكن بنية سيئة!! فكيف كان ذلك؟.

ما إن هبت رياح العولمة مع انهيار الاتحاد السوفيتي في بداية العقد الأخير من القرن العشرين، وانهمرت كتابات "فوكوياما" عن نهاية التاريخ، و"صمويل هانتجنتون" عن صراع الحضارات، حتى تداعى المثقفون العرب إلى النزال المعهود بينهم إثر كل هجمة فكرية، أو ثورة عقائدية، أو صدمة حضارية؛ فقد اعتاد المثقفون العرب إثر كل هبة أن يحيوا مآثرهم التاريخية: فتدق الطبول، وتستنفر الخيول، لكن لا للحرب والنزال، بل للمراء والجدال!!.

وهم في مرائهم وجدالهم، لا ينازلون عدوًا، ولا يصدون هجومًا، ولا يدفعون عن مجد مؤثل، بل يثب بعضهم على بعض، وينازل بعضهم بعضًا، ويثور دم المطابع العربية متدفقًا بالكتب وأوراق العمل والبحوث، وتندلع حمى المؤتمرات والندوات واللجان.. وأخيرًا يخرجون من المعركة الوهمية بنتيجة واحدة: لا غالب ولا مغلوب!!.

وقد أسفرت معركة مواجهة العولمة عن رؤيتين متضادتين ورؤية توفيقية: أما الرؤيتان المتضادتان فهما بالضرورة: قبول العولمة، مقابل رفض العولمة، وأما الرؤية التوفيقية فهي التوسط بين الرفض والقبول.. بحيث تقبل الإيجابيات، وتردّ السلبيات.

وأصحاب الرؤى الثلاث بهذه المواقف الاستاتيكية اختزلوا العولمة في مفهوم تقني متيبس، وكأنهم وقفوا بها عند حدود معنى (التقنية) وغضوا الطرف عن الغلاف الأيديولوجي المحيط بتلك التقنية الممثلة في الأجهزة والمعدات المستوردة. كما غضوا الطرف عن الطوفان الإعلامي الزاخر بالثقافة الغربية المهيمنة التي

يراد فرضها على كل سكان كوكب الأرض ملفوفة بمسموح العولمة والمتخذة لها سلاحين هما: المعونات الاقتصادية، والعقوبات الاقتصادية.. فإما السمع والطاعة حيث يكون الرضا، وإما العقوبات حيث يكون السخط!!.

والواقع يشهد بأن الأمة العربية لم تعُد تملك قرارها إزاء هذه الهجمة الشرسة لطوفان المعلوماتية الطاغي الذي صاحب ظهور مفهوم العولمة. بل لم تعد قادرة على ممارسة التفاعل الثقافي بحرية تتضمن بالضرورة حرية الانتقاء والاختيار الثقافي بين البدائل المتعددة التي تقذفها مدفعية الضخ الثقافي الغربي المهيمن. وكما يقول ميشيل كيلو (مجلة الشاهد- فبراير ١٩٩٨) "لو كان الفشل المحتم نصيب أية محاولة يبذلها العرب في سبيل الخروج عن حالهم الراهن –كما يقول رأي عربي واسع الانتشار- لكان عليهم إعلان استقالتهم من التاريخ وإخراج أنفسهم بمحض إرادتهم من العالم، ولكانت السياسات التي تمارسها معظم نخبهم الحاكمة والمسيطرة سياسات صائبة وملائمة مادامت قد أحبطت إلى اليوم سعيهم لإرساء بِنى جديدة لوجودهم، وحالت بينهم وبين انتزاع حصة من القرار الدولي.

إن قبول العرب للأطروحة التي تؤكد عبثية العمل للتفاعل مع العالم من منطلقات ذاتية؛ يعني قبولهم للسياسات والأوضاع العربية السائدة، ورضاهم بالخضوع لقوى عالمية مسيطرة وفي هذه الحالة لعل من الأفضل لنا جميعًا كعرب الإقلاع عن مقاومتها وقصر جهودنا على تحسين شروط ركوعنا أمامها، تمهيدًا لتطليق الأفكار التي تقول بوجود أمة عربية يجب أن تتوحد سياسيًا، وأن تنمي نفسها تنمية مستقلة قدر الإمكان، وأن تحدث فكرها ووعيها وتعلقن حياتها، وتعيش حياة ديمقراطية حرة وكريمة في وطنها وتلعب دورًا مؤثرًا في واقع العالم وواقعها...الخ.

ويرى د. علي المصري (مجلة الثقافة العربية- مارس ١٩٩٦) أن مما ساعد دول المعسكر الغربي على بسط نفوذها على الدول التابعة لها استخدام الدول التابعة المنتجات الثقافية للثورة التقنية المعاصرة –ثورة المعلومات كما يسميها "إلفين توفلر"- من وسائل الاتصال والمواصلات المتطورة في نشر القيم الاستهلاكية الغربية في المجتمعات الطرفية والانقلاب رأسًا على عقب بحيث

أصبحت دول المركز تتحكم في أذواق المستهلكين وعاداتهم وتصوغ تلك الأذواق والعادات بالصورة التي تتفق والسلع والخدمات التي تنتجها وحداتها الصناعية.

وبكلمة واحدة استطاعت دول المركز الصناعي عن طريق وسائل الاتصال الجمعي أن تخلق الطلب على ما تنتجه مصانعها وما تعرضه أسواقها من سلع وخدمات، وفي هذا المعنى بالضبط يقول "جورج بوش" الأب - الرئيس السابق للولايات المتحدة الأمريكية - "ليس النظام العالمي الجديد حقيقة واقعة بعد، بل إنه مجرد إمكانية وطموح وفرصة متاحة الآن، فبين أيدينا إمكانية استثنائية لم تنعم بها سوى أجيال قليلة ألا وهي إمكانية بناء نظام دولي جديد وفقًا لقيمنا نحن، ومثلنا نحن، هذا في الوقت الذي تتقوض فيه من حولنا النماذج واليقينيات القديمة).

ولكن السؤال الذي يفرض نفسه: ما هي القيم والمثل العليا الأمريكية التي تسعى الولايات المتحدة لنشرها في مختلف بقاع العالم المعاصر؟. إنها باختصار وكما يشير التقرير تتمثل في الحرية السياسية والحرية الاقتصادية وشرعية السلطة القائمة على أساس موافقة المحكومين ثم حقوق الإنسان، هذا ويمكن ضغط هذه القائمة من المثل والقيم فيما يعرف الآن في علم الاجتماع السياسي والعلوم السياسية الأخرى (الديمقراطية الليبرالية) التي تنبأ فرنسيس فوكوياما بانتشارها في كل بقعة من بقاع الأرض بعد انهيار الاتحاد السوفيتي ودول أوروبا الشرقية، وعندما يتحقق هذا الانتشار تكون البشرية كلها قد وصلت إلى نهاية التاريخ كما يقول "فوكوياما" الأمريكي الجنسية الياباني الأصل.

ولا يحتاج المرء إلى عناء كبير لكي يستخلص من العبارة السابقة المأخوذة من تقرير البيت الأبيض أن الولايات المتحدة الأمريكية تسعى جاهدة للهيمنة على جميع دول العالم بحيث تكون الدولة الوحيدة المرعبة، المسيطرة، القوية، التي تحمي من يلقون لهم مكانًا تحت مظلتها لأنها القوة الوحيدة التي لديها كل زمام الأمور في الشئون الدولية.

والحق أن الولايات لا تخفى أبدًا هذه الرغبة العارمة، فقد سبق للرئيس الأمريكي جورج بوش الأب أن قال بالنص: "إن القرن القادم –يقصد القرن الحادي والعشرين- هو قرن أمريكي بكل معنى الكلمة".

كما لا تخفى الولايات المتحدة أيضًا أن الطريق إلى زعامة العالم والسيطرة عليه تكمن في زرع كل ما هو أمريكي في عقول أفراد البشرية قاطبة عن طريق تقنيات الاتصال والمواصلات المعاصرة التي تستحوذ الولايات المتحدة الأمريكية على نصيب الأسد منها سواء من ناحية الكم والكيف.

ويركز د. عبد العزيز الدوري (المستقبل العربي- ١٠/ ١٩٩١) على عدة أسباب تعوق النهوض العربي المطلوب لمواجهة موجة العولمة منها (إهمال تدريس التاريخ في مؤسساتنا التعليمية بالطريقة الصحيحة الصادقة حتى إن بعض المؤرخين -في رأي الدوري- نسبوا الحركات في التاريخ إلى أفراد، وأغفلوا أو أهملوا دور الجماعات التي عملت وضحت لفترة من الزمن! فالدعوة العباسية مثلاً والتي استمرت حركة سرية حوالي ثلث قرن تنسب إلى شخص مثل أبي مسلم الذي انضم إليها في السنين الأربع الأخيرة ليمثل الإمام في خراسان، وينسى ما سبق من دعاة ونقباء ومجالس وتضحيات؛ ألا يؤدي كل هذا إلى تأكيد فكرة الحاكم الفرد، عدل أو لم يعدل؟.

ألم يكن لهذا الأمة أو لفئات منها أدوار في التاريخ ومواقف تعبر عن توثبها؟، ألم تمر فترات أخذت فيها الأمور بيدها حتى انهارت السلطة أو غابت لتنظيم وضعها ولتوقف أية فوضى تترتب على ذلك؟.

إن التاريخ يتناول نشاط الإنسان في الزمان والمكان، والجغرافيا تكون العنصر الثالث، ولكننا في دراستنا نهمل الجغرافيا إهمالاً واضحًا، ويندر أن توجد خرائط في كتب التاريخ وإن وجدت فهي صورية لا تفيد في شيء، أما الأطلس التاريخي فهو في مرحلة أولية جدًا. ولعل أول وأعظم محاولة على طريق إنجاز أطلس تاريخي هي تلك التي قام بها المرحوم الأستاذ الدكتور حسين مؤنس في أطلس التاريخ الإسلامي، والمهم أن الدراسات التاريخية تُهمل الجغرافيا عادة وهذا يفقد التاريخ وضوحه، ويقلل من شأن الأرض في وعي الدارس، وهو ما نشكو منه في كثير من المناسبات، وقلة الخرائط بعامة، وندرة الخرائط التفصيلية بخاصة، مشكلة يشكو منها السياسي والعسكري والاستراتيجي وهي ثغرة في ثقافتنا العربية.

والجغرافيا تمثل عاملاً أساسيًا من عوامل الاستمرار في التاريخ، فهي عنصر ثابت ومستمر في تأثيره، ومن هنا تظهر أهميته الكبيرة في الماضي والحاضر، وقد تثير الجغرافيا أسئلة حديثة كما أثارت في الماضي، ما طبيعة المنطقة الجغرافية لبلادنا بما فيها من سهول وصحاري وبحار، وبما لها من مصادر المياه؟ وما أثرها في حياة الناس؟ وما أثر الموقف الجغرافي في النشاط الاقتصادي وفي العلاقات بالشعوب المحيطة والقريبة سلمية أو غير ذلك؟ ما أثر البوادي والصحاري- هل هي سبب ترابط أو فصل؟ هل بقي لها دور المخزن البشري في الحاضر كما كان في الماضي؟... هذه مشاكل تتصل بالتاريخ، ولكنها تهمنا هنا لتأثيرها في الهوية الثقافية العربية.

إن دور التاريخ في الثقافة العربية كبير، ودوره في بلورة الهوية الثقافية كبير، ومن هنا تتضاعف أهمية مناقشة واقع تدريسه في مؤسساتنا التعليمية وآثاره السلوكية وتصويبها.

كما ركز "الدوري" على أهمية الحفاظ على لغتنا العربية لكونها مظلومة مع أنها أساس الهوية، ويتساءل: هل جعلنا العربية السليمة لغة الإعلام، ولغة التسميات؟، وهل جعلناها أساسًا لإعداد الموظفين في الدوائر الرسمية كما هي الحال في انجلترا وفرنسا مثلاً، أو كما كانت لغة الكتاب في الدواوين؟ وإذا كان الناس يكتبون عادة بعربية فصيحة، فهل كانت هذه العربية السليمة لغة التدريس في الواقع على أي مستوى من مستوياته؟.

وهل حاولنا أن نغني هذه اللغة بتحديثها وإضافة المصطلحات الكثيرة التي يفرضها التقدم العلمي والفكري في العلوم والإنسانيات والاجتماعيات وغيرها؟، هل وضعنا معاجم حديثة شاملة لمصطلحات العلوم وغيرها؟ (لدينا بدايات ولكنها لا تزال في أول الطريق)، هل اجتهدنا أو اتجهنا إلى تغليب العربية الفصيحة على العامية التي يشيع استعمالها في حياتنا اليومية؟.

ألا تؤمي العامية إلى تجزئة أخرى في حقل الثقافة؟ ألسنا أما عاميات عديدة، وأمام مستوى متدن من الثقافة والجهل؟، ألا يؤثر الوضع في الهوية الثقافية

ويضعضعها؟.. نعم إن مكافحة الأمية هدف لكل بلد عربي، ولكن أين نحن من تحقيق الهدف؟.

وأخيرًا: ما المأمول؟:

في ضوء التحديات السابقة يجب أن يعنى المسئولون عن تربية وتنشئة وتعليم الأطفال في بلادنا العربية بربط أدب الأطفال بالواقع المعيش، وتفعيل دور هذا الأدب في التنشئة الاجتماعية، بحيث يتغيا أدب الطفل العربي –في هذا الصدد:

١. ترسيخ العقيدة الدينية الصحيحة في نفوس الأطفال.
٢. تثقيف الأطفال تثقيفًا بناءًا وتكوين أنماط سلوكية وثقافية تناسب الواقع الاجتماعي للطفل ونقد سلبيات الواقع من خلال تقديم المعلومات المناسبة بلغة بسيطة وسهلة.
٣. ربط الطفل بالأحداث القومية التي يعيشها الوطن العربي وتقديمها إليه في شكل سليم.
٤. تنمية مواهب الأطفال وقدراتهم على الإبداع والابتكار من خلال الإخراج الفني الجذاب لكتب الأطفال.
٥. إرساء قواعد جديدة للسلوك القرائي لدى الأطفال وإثراء الثقافة الدينية والاجتماعية والتاريخية في نفوسهم.
٦. الارتفاع بمستوى تذوق الطفل الفني بشكل عام والعمل على ربط ذوقه بالمستوى العام للذوق الاجتماعي العربي.
٧. ترسيخ معاني الهوية العربية والإسلامية والقومية في نفوس الأطفال.
٨. تعويد الأطفال التفكير المستقل بديلاً على التقليد الأعمى.

وفي نهاية كلمتي أتوجه بالشكر إلى الإخوة الحاضرين وإلى مركز الدراسات المعرفية الذي أتاح لي هذه الفرصة للالتقاء بكم. والله ولي التوفيق.

كلمة أ.د. عبد الرحمن النقيب/

نشكر أ.د. مصطفى رجب على هذا الطواف حول أدب الطفل العربي مقارنة بأدب الطفل الصهيوني والذي جمع بين الدقة العلمية والعاطفة الإسلامية المحملة بهم الأمة عند المقارنة بين الأدبين، أدب له هوية وله أهدافه وله مخططاته واستراتيجياته، وأدب آخر يقل فيه هذا التوجه وسيكون لي تعليق أخير، لكم الآن الفرصة للتعليق.

مداخلة الدكتور إحسان السعيد - مدرسة تاريخ إسلامي/

بسم الله الرحمن الرحيم، هل لنا أن نمارس نوعًا من التوجه والتخطيط في تربيتنا لأطفالنا كما هو متبع في غيرنا من الأمم، وهل ستترك لنا أمريكا حرية التحرك في هذا المجال الحيوي وشكرًا.

مداخلة أ.د. أحمد المهدي/

بسم الله الرحمن الرحيم، اعتقد أن الأستاذ العزيز الأستاذ الدكتور مصطفى رجب وضع موضوع أدب الأطفال في سياقات واسعة وعميقة ينبغي أن نهتم بها جميعًا، المقارنة بين أدب الطفل في واقعه الحالي في البلاد العربية وبين أدب الطفل في جارتنا التي فُرضت علينا وتريد أن تقضي على وجودنا من المنطقة لتظل هي، أمر خطير أن نهتم به جميعًا. القضية ليست أدب الأطفال وحده، أدب الأطفال جزئية من خطة مرسومة هذه الخطة مخطط لها وتنفذ، وهناك عقول جيدة تعمل عليها، وهم يخططوا منذ سنوات وينقدون الآن، نحن لا نصنع شيئًا وندعي أننا نصنع كل الخير.

قضية أدب الأطفال ينبغي أن ترتبط بتنشئة الأجيال في هذه الأمة، هذه التنشئة ينبغي أن يكون لها هدف، هذا الهدف في التعليم وفي الإعلام وفي الأسرة مغيب وبدلاً من ذلك توضع أهداف عشوائية. حتى نحقق شيئًا ينبغي أن تكون هناك خطة يقوم عليها المثقفون وترعاها الدولة، ولو أننا تركنا الأمور للدولة وحدها سوف نصل إلى ما وصلنا إليه في بعض أنحاء العالم العربي، أعتقد أن

المهنيين وخاصة التربويين والمتخصصين في التنشئة الاجتماعية وفي التعليم عليهم أعباء كبيرة ينبغي أن ينهضوا بها.

تحدث الدكتور مصطفى رجب عن مقارنة بين أدب الطفل في البلاد العربية واتخذ من مصر مثالاً، وأدب الطفل في إسرائيل، ليتنا نستطيع أن نقارن بين التعليم في البلاد العربية، والتعليم في إسرائيل، ما هي الأهداف العليا التي يهدف إليها التعليم في إسرائيل.

د. مصطفى، تحدث حديث ضافي وفي إشارات كثيرة عن هذه الأهداف، أهداف دينية قومية تهدف إلى تحقيق إنجازات محددة، ويبدءون بالأطفال شباب المستقبل وحكام الأمة، ما أكثر ما يعقد في بلادنا العربية من مؤتمرات الطفولة، وثلاثة أرباعه مترجم، وثلاثة أرباعه لا يتصل بواقع الحال في البلاد العربية، كليات التربية وكليات الطفولة ومؤسسات التعليم ينبغي أن تنتبه وتستيقظ للحركة التي نسير فيها وهي أن نكون تابعين للغرب في كل شيء، من أجل أن نبقى في إطار العولمة أو الأمركة والأسرلة، والعولمة كلها لمصلحة الأسرلة والصهينة، وشكرًا لكم.

مداخلة المهندس خالد محمد أحمد/

بسم الله الرحمن الرحيم، حقيقة في حديث سعادة الدكتور عناصر كثيرة تجعل كل منا يشارك برؤية. منذ أربعة وثلاثون عامًا أعددت بحث صغير عن ما هي فكرة إقامة المدرسة الألمانية داخل ألمانيا بعد الحرب؟ فقد حصل انكسار للشعب وأهين إهانه بالغة واحتل، وكان محور التعليم لديهم هو كيف يمكن إعادة بناء الشخصية الألمانية، وكذلك تجربة اليابان. ومن خلال التجربتين وغيرهما، نستطيع أن نستوحي كأمة إسلامية لنا مجد سابق ماذا نريد من تربية وتعليم الأطفال من أجل بناء مستقبل زاهر لأمتنا الغالية. وشكرًا.

مداخلة أ.د. رفعت العوضي/

بسم الله الرحمن الرحيم، شكرًا للأستاذ الدكتور مصطفى رجب وبارك الله فيه على هذه المحاضرة القيمة، وأطمع لو أننا في كل لقاء قدم مقترح للعمل عليه

من خلال الجماهير وتحديد مسارات أخرى غير المسار الرسمي داخل الشرعية القانونية للدولة، وشكرًا.

مداخلة أ.د. محمود الشهابي - أستاذ جامعي بالمعاش/

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم، الإخوة الأفاضل هناك نقطة هامة جدًا أريد أن أشير إليها وهو أنه يجب أن لا يتسرب اليأس إلى نفوسنا، فقد كنت أقيم في سكن الجامعة وأنا أدرس في إنجلترا مع طالب يهودي أصوله عراقية ويتكلم اللغة العربية بطلاقة وشكله عربي. كان يقول لي أهم ما حدث بعد النكسة عندكم في مصر هو رد فعل عكسي للهزيمة وإصرار على إعادة البناء ودخول الحرب مرة أخرى مع إسرائيل. واللآت الثلاثة التي قيلت في الخرطوم، لا مفاوضة مع العدو، ولا صلح معه، ولا اعتراف به هي التي ترهبنا أكثر مما حدث من انتصار حرب ٧٣. ثم قال لي إننا لم نكن نعمل من منطلق حكومة ونحن في شتات ولكن نحن نعمل على طريق فردي كلنا بهذه الصورة ومع ذلك استطعنا أن نصل –وهو كان من المهضومين حقهم في إسرائيل –كان يقول من داخل نفسي أتمنى للعرب أن يكونوا أفضل، قال إذا ظل العرب على هذه الصورة سينتصرون ولابد من ذلك، لابد أن يكون هناك إصرار أما اليأس وروح الانهيار لا يمكن أن تأتي بشيء إطلاقًا.

أذكر ونحن طلاب في الجامعة كان بيننا في كلية دار العلوم –وجل مناهجها تهتم بالدراسات العربية والإسلامية- كان بيننا طالبة واحدة محجبة، الآن لا أجد في كلية دار العلوم طالبة غير محجبة، كنا نذهب إلى أي مصلحة حكومية لا نجد مكان للصلاة، أما الآن في كل مصلحة حكومية مكان للصلاة، عندنا في الريف شيء اسمه "سهرة رمضان" يأتي فقيه في بعض البيوت ويقرأ القرآن بعد التراويح إلى الفجر، بيتنا كان ممن يتمسك بهذه العادة أيام أبي كان الذي يسهرون معه حول القرآن الكريم هم كبار السن، الآن طلبة الجامعة يصرون على أن يتعلموا كيف يجودون القرآن وكيف يقرؤونه هذه المجموعة الصغيرة هي الأساس.

"العقاد" يقول لا تجد في أي وقت من الأوقات في أي زمن من الأزمنة أكثر من اثني عشر شخص يفهمون تعاليم سقراط ومن أجل الإثنى عشر هؤلاء تطبع كتب سقراط بالملايين. فإذا كانت هناك فئة صغيرة مصرة وتعمل حتى من غير منطلق حكومي على طريق فردي لابد وأن يوفقها الله، الإسلام انتصر بالضعفاء، سيدنا أبو بكر رجل كبير والكبر ضعف، السيدة خديجة أنثى والأنوثة ضعف، سيدنا بلال رقيق والرق ضعف، سيدنا علي بن أبي طالب صغير السن والطفولة ضعف ومع ذلك انتصر الإسلام وطالما هناك إصرار إن شاء الله سيكون النصر، وشكرًا.

مداخلة الأستاذ فهدي عوض/

شكرًا للأستاذ الدكتور مصطفى رجب على محاضرته القيمة وأنا لي بعض الملاحظات من بينها:

كنت أريد تحديد واضح لعنوان المحاضرة، لأني لم أستطيع تحديد المقصود بأدب الطفل في كلام حضرتك هل هو المكتوب للطفل أم هو ما يصلح أن يتلقاه الطفل؟ هل نحن نتحدث اليوم عن أدب الطفل الذي نعده ونقدمه للطفل بشكل يخضع لآليات سوق، يكتبه أديب وينشره في السوق باعتباره كتاب أم ما يدرس في المدارس باعتباره أدب الأطفال، في الحقيقة كان هناك ملاحظات خالطة بدرجة ما في تعليقات أستاذنا بين أدب الطفل في الكيان الصهيوني وفي المدرسة وفي أدب الطفل الذي يكتبه الأدباء.

النقطة الثانية: هو الحديث داخل الكيان الصهيوني من هذه المنطلقات هو حديث منطقي تمامًا، لكن هل يكفي هذا في وصف دراسة أدب الأطفال عند الصهاينة مقارنة بأدب الأطفال في مصر والعالم العربي اعتقد أننا نحتاج إلى مداخل أخرى لهذه المقارنة، وكيف هم يكتبون أدب أطفالهم وكيف نكتب نحن أدب أطفالنا، وإلى أي مدى وخلافه كانت هذه النقاط تحتاج إلى تفسير أكثر.

النقطة الثالثة: وهي مرحلة ما العمل؟، وحضرتك ألقيت العبء على الأدباء وعلى الإعلاميين بالأساس. في معرض حديثك ذكرت الكاتب يعقوب الشاروني

وذكرت أن أدائه في صياغة أعماله يصوغها بأهداف قد تلتقي بدرجة أو بأخرى مع أهداف الكيان الصهيوني، فأنا مندهش من هذا الحديث وكنت أحتاج على الأقل الدليل على هذا الكلام.

لو لاحظنا الخريطة الإعلامية بالتحديد القنوات الفضائية سوف نكتشف أنه بقدر ما تزيد مساحة السفور أيضًا تزيد مساحة التوجه الإسلامي مثل "إسلام أون لاين".

آخر نقطة وهو أني اندهشت كثيرًا من أن هناك أوصاف أخلاقية كثيرة جدًا وردت في كلام حضرتك، هذه الأوصاف الأخلاقية أعتقد أو أتمنى أن المحاضرة العلمية تكون بدرجة أو بأخرى بعيدة عن الأوصاف الأخلاقية وأحتاج إلى تقريرات علمية، وشكرًا.

مداخلة الأستاذ عماد المهندس/

بسم الله الرحمن الرحيم، أي قضية يتم طرحها أنا من وجهة نظري يكون لها ثلاثة محاور، الأول تحليلها، ثم نتائج التحليل، ثم النتائج النهائية، الأستاذ الدكتور مصطفى رجب ركز على تحليله للموضوع فقط دون تحديد نتائج الحديث، وأنا أرى أننا لو حملنا الدولة فقط بهذه القضية وغيرها لن نصل إلى شيء. وجهة نظري أن الحلول تتحدد في ثلاثة محاور: المحور الأول على مستوى الدولة، المحور الثاني على مستوى المجتمع عن طريق جمعيات ومؤسسة أهلية مثل مركزنا هنا، المحور الثالث على مستوى الأسرة والبيت. المفروض أن تكون لنا خطط محددة وأهداف مستقبلية لتربية الأطفال، يجب أن يكون لأطفالنا ذلك البطل القومي الموجود لدى الأمم كلها، ولكن بطل يحقق أهدافنا ينبع من توجهاتنا كأمة إسلامية، أن يدرك الأطفال أنهم رجال المستقبل، أن يكون لديهم الحرية والتي تبدأ من المنزل، فيكون دور الأب مصاحبًا موجهًا، وسيكون لدينا بذلك أطفال وأدباء أطفال إن شاء الله على قدر كبير من المسؤولية، وشكرًا.

تعقيب أ.د. مصطفى رجب/

بسم الله الرحمن الرحيم، أنا أتقدم بكل الشكر والتقدير لجميع الأساتذة الأفاضل الذين استفدت من ملاحظاتهم، وأنا آسف لأن بعض كلامي فهم خطأ، فأنا لم أكن متشائمًا ولم ألتزم بالمكتوب وأحسست أن قراءة ورقة مطبوعة قد يكون فيه شيء من الملل فتكلمت بشكل تلقائي ولم ألتزم بالمكتوب، لكن بالتأكيد أنا لست متشائمًا ولا مع التشاؤم، فأنا كاتب قصة وشاعر وأنا مشارك في العملية الإبداعية بطبيعة الحال، لم أكتب للأطفال إنما أكتب للكبار وقمت بتدريس مقررات أدب الأطفال وقصص الأطفال في الجامعة ست سنوات متصلة، ومن خلال تدريسي لهذه المقررات وضعت يدي على كل المكتوب فيها باللغة العربية، وشعرت بحجم المأساة ومكامن الخطر؛ لذلك كانت كتابة هذه الورقة نتيجة إحساس بالفجيعة لأن واقع أدب الطفل العربي متردي بالفعل، وإذا كنت أنا محصور في ساعة لإلقاء المحاضرة فلا يمكن أن أتقدم بحلول لكل المشاكل وأقدم روشته إصلاح، يكفي أن أثير كل الشجن وفي مرحلة لاحقة نبحث عن الأمل في مرحلة نبحث عما نصنعه، أنا أيضًا في النهاية تكلمت عما يجب أن يكون عليه الحال وألقيت فعلاً بالمسئولية على الأدباء الذين يكتبون للأطفال وعلى الإعلام لأن الأستاذ الدكتور رفعت العوضي قال أننا لا يجب أن ننتظر من المؤسسة الرسمية أن تحمل عبء الدفاع عن الذات القومية ونتركها لشأنها وندعو لها بالتوفيق، أنا أشاركه الرأي أن المؤسسة الرسمية في حاجة إلى المساعدة، واجب أن أشير بأن رئيس الجمهورية منذ أن تولى الرئاسة على مدى ثلاثة وعشرين عامًا لم يزر إسرائيل إلا لحضور جنازة إسحاق رابين وهذا موقف سياسي محسوب بالتأكيد، وكان يمكن أن تكون علاقته بإسرائيل غير ذلك، أيضًا من المواقف الرسمية سحب السفير المصري مع بداية الانتفاضة والإصرار على رفض مطلب إسرائيل في إطلاق سراح عزام عزام، أي أن المؤسسة الرسمية لها مواقف مع الكيان الصهيوني بقدر ما تسمح به اتفاقيات كامب ديفيد من تكبيل، مواقف لا بأس بها، لكننا نحن كشعب ومؤسسات أهلية كجمعيات وأدباء وإعلاميين يجب أن يكون دورنا في هذا المجال دورًا دفاعيًا مقاومًا.

تحدث الأخ فهدي عوض في ملاحظات كثيرة أنا أشكره عليها، أولاً أنا آسف إذا كان فهم كلامي أنني أسئت للأستاذ يعقوب الشاروني، أنا في حديثي ذكرت أنه يتناول كثيرًا أدب الخيال العلمي ولم يقدم فيه جديدًا، وقلت أنه إذا كان يقـدم أدب الأطفال من خلال الخيال العلمي بهذا الشكل الساذج فإن أهدافه ستلتقي مع أهداف الكيان الصهيوني في تفريغ عقلية الطفل العربي، وهو في الحقيقـة لـيس خيـال علمي، الخيال العلمي الغربي له أصول معروفة يكتبه متخصصون.

أستاذنا الدكتور أحمد المهدي عبد الحليم، نحن مقصرون في إعداد معـاجم لأدب الأطفال، كل دول العالم المتقدم بها قواميس لكتاب الأطفال من سن كذا إلى سن كذا يستخدم لهم هذا القاموس، والأطفال من سن كذا إلى سن كذا يستخدم لهم هذا القاموس.

للأسف الشديد البرامج الإسلامية في التليفزيون وأنا شاهد عليها كمـا أنـت شاهد عليها في القنوات الرسمية "إسلام عقيم" أشخاص معروفين وموضوعات لا تتجاوز قص الأظافر والإحسان للجار، وبر الوالدين وإماطة الأذى عن الطريـق ليس هناك موضوعات عن الشورى أو الخلافة، خطب وزارات الأوقـاف التـي توزع على الأئمة في كل الدول العربية مطبوعة وموجهة، شاهدت فـي إحـدى الدول العربية إمام باكستاني يخطب من الخطبة المطبوعـة المعـدة مـن قبـل الحكومة، ويقرأ بصعوبة اللغة العربية ويقول إذا صادفتك زهـرة وقعـت مـن شجرتها فأعيدها إلى مكانها، وزير الإعلام وهو يتكلم عن البرامج الدينية يقـول أنها زادت في الإذاعة والتليفزيون بنسبة ٣٥%، أي كانت نسبتها من ساعات البث مثلاً ٢٠% أصبحت ٥٥%، لكن محتواها هو السؤال، فليس انتشار الإسلام فـي الفضائيات دليلاً على النجاح، هناك مواقع مثل "إسلام أون لاين" مواقـع ناجحـة لكنها مازالت بعيدة عن المواطن العادي، إنما لا يأس مع الحيـاة ولا حيـاة مـع اليأس من أكبر الكبائر، نعوذ بالله من اليأس ونعوذ بالله من أن نفقد الأمـل فـي حكومتنا وفي أنفسنا وفي أمتنا وندعو الله سبحانه وتعالى للسياسيين بأن يرشـدهم الله إلى الصواب وأن يعينهم علينا ونطمع أن يهدينا الله إلى الحق ويعيننا الله عليه، ولإعلامنا بأن يكون درعًا للأمة ولأدبائنا بأن ينصحوا للأمة إذا كتبـوا، ونـشكر

مرة ثانية مركز الدراسات المعرفية على هذه الدعوة الكريمة وأنا آسف إذا كنت أصدر أحكامًا أخلاقية ضد أحد أو أسأت لأحد. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ختام أ.د. عبد الرحمن النقيب/

شكرًا للأستاذ الدكتور مصطفى رجب على هذه المحاضرة القيمة ودائمًا الإنسان الأديب عندما يتناول أي موضوع حتى ولو كان علمي بحت فالنزعة الأدبية فيه لابد أن يكون لها نوع من التواجد في المحاضرة. الدكتور ركز على الجانب القومي في أدب الأطفال العبري، ثم هناك أيضًا الجانب الديني وكذلك الجانب العلمي والتكنولوجي وهذه الجوانب بارزة جدًا في أدب الأطفال فلعل في ذلك ما يجعل في المجتمع العربي أهمية لأدب الأطفال من الجانب الديني وأيضًا من الجانب العلمي التكنولوجي.

شكرًا لكم جميعًا ونلتقي إن شاء الله في الموسم الثقافي القادم في أكتوبر ٢٠٠٥م بإذن الله.